كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المكـــان فـى روايـــــات الفقيـــــه

" دراسة فى نماذج مختارة "

بحث مقدم
للحصول على درجة الدكتوراة في الأدب العربي

إعداد الطالبة
أريج محمد طيب خطـاب

إشـراف

الأستاذ الدكتور/ محمد صلاح الدين فضل
أستاذ النقد الأدبى
كلية الآداب- جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور/ عوض محمد الصالح
أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة بنغازى

٢٠١٦

تعريف الباحث

اسم الطالب: أريج محمد طيب خطاب

عنوان الرسالـة: المكان فى روايات الفقيه "دراسة في نماذج مختارة"

لجنــة التحكيم:

أ.د/ محمد صلاح الدين فضل مشـــــــرفاً

د/ منـــى محمد طلبـــه عضـــــــواً

أ.م.د/ هيثم الحاج علي عضـــــــواً

تاريخ إنجاز الرسالة / / ٢٠

تاريخ اعتماد الكلية / / ٢٠

تاريخ اعتماد الجامعة / / ٢٠

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الرعد - آية (١٧)

إهـــداء

إلى **أنس** ـي في أطيب مقام

شكر وتقدير

يسرنى فى بداية هذا البحث أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من كان لى عوناً وسنداً فى إتمام هذه الدراسة وأخص بالذكر **الأستاذ الدكتور/ محمد صلاح الدين فضل**- فله منى كل الاحترام وكل التقدير والعرفان بالجميل.

فهرس المحتويات

العنـــــــوان	رقم الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهـــــــداء	ب
شكر وتقدير	ج
فهرس المحتويات	د
مقدمـــــــــة	أ
المؤلف والرواية	ج
أسباب اختيار الموضوع وأهميته	ز
منهج الدراسة	ح
محتويات الدراسة	ح
الفصل الأول: الأبعاد والثنائيات المكانية	١-٦٠
الأبعاد المكانية **البعد الذاتى النفسى**	١
البعد الاجتماعى	١٢
البعد التاريخي (الزمنى) المدينة القديمة – الصحراء – أدنبرا – لندن – القبائل الجرمانية	١٧
البعد الفيزيائى	٢١
أولاً: تأثير الإشعاع الشمسى	٢١
ثانياً: الروائح والأصوات: الرائحة – الموسيقا	٢٢
البعد الهندسى	٢٦
البعد العجائبى أو الأسطورى	٢٧
البعد الدينى	٢٩

العنـــــــوان	رقم الصفحة
١) التصوف: الحضرة – الطريق	٢٩
٢) البوذية	٣١
٣) الصيام	٣١
البعد السياسى	٣٢
١) النظام الاشتراكي	٣٢
٢) المواطنـــة	٣٣
٣) جنوب لبنان	٣٣
البعد الكارثي للمكان	٣٥
البعد التحرري للمكان	٣٧
البعد الجنسي للمكان	٤٠
البعد الترفيهي العبثي للمكان	٤٥
الثنائيـات:	
أولاً: التقابلات المثنوية:	٤٦
أ- الظاهر والمتواري	٤٦
ب- الداخل والخارج	٤٨
ثانياً: التقاطـــــع	٥٠
أ. تقاطع السطح والعمق	٥١
ب. تقاطع الحركة والسكون	٥١
ج. تقاطع حياة وجماد	٥٢
د. تقاطع الواقعي بالخيالي	٥٣
الفصل الثانى: جماليات المكان	٦١-٨٨
أنماط المكان	٦٣
المكان المرفوض:	
- مجتمع الراوي	٦٤

العنـــــــوان	رقم الصفحة
– طرابلس	٦٦
– الطبيعة	٦٧
– الجامعة	٦٨
– شقة أنور جلال	٦٩
– بيت الزوجية	٧٠
المكان الملاذ:	
– العــزلة	٧٣
– الخــزانة	٧٤
– السرير	٧٥
– غرفة الشيخ الصادق أبو الخيرات	٧٥
– السيــارة	٧٦
– الجامعة	٧٧
– القرية السياحية	٧٨
– بيت سناء	٧٩
– تمثال الغزالة	٨٠
– آثار شحات قورينا	٨١
– الطبيعــة	٨٢
– البحــر	٨٣
المكان المنشود	
– قورينــا	٨٥
– غرفة الشيخ الصادق	٨٦
– الأندلس	٨٧
– أدنبــرا	٨٧
– رحلة القارب والجزيرة المهجورة	٨٨

العنـــــــوان	رقم الصفحة
الفصل الثالث: الوصـــــــف	٨٩-١١٤
الوصـف	٨٩
- أهمية الوصف	٩٠
- وظائف الوصف	٩٠
- أنواع الوصف	٩١
الحركة والمكان:	٩٣
- حركة المكان عند ابن سينا	٩٣
- حركة المكان	٩٤
- حركة المتلقي في المكان	٩٦
الاستهلال الوصفى	٩٨
وصف المكان حسب الرؤى السردية	٩٨
- الرؤية من الخلف (الراوي فقط)	٩٩
- الرؤية مع (الراوي بمنظور شخصية)	١٠٣
الأشيـــــاء	١٠٨
- أولاً: الأشياء وواقعية العالم الروائي:	١٠٨
أ. النباتات الصحراوية	١٠٨
ب. أشياء القرية	١٠٩
- ثانياً: الأشياء اشارات ورموز	١١٠
أ. الأبراج الثلاثة	١١٠
ب. ضريح سيدي (أبو قنديل)	١١٠
ج. حدوة الفرس	١١١
د. الشجرة المباركة	١١٢
ه. الطربـــوش	١١٣

العنـــــــوان	رقم الصفحة
الفصل الرابع: إيقـــــاع الحكايـــة	١١٥-١٥٢
إيقاع الحكاية	
- أولاً: المفارقات الزمنية	١١٨
• الاسترجاعات	١١٩
• الاستباقات	١٣٨
- ثانياً: المـــــدة	١٤١
الخاتمـــــــة	١٥٣
قائمة المراجـــع	١٥٥

المقدمـــة

احتلت الرواية – في العصر الحديث – مركزًا متميزًا بين فنـــون الأدب الأخـــرى؛ فتصدَّرت معظم الأعمال الأدبية إلى درجة تكاد تتجاوز فن الشعر.. أقدم فنون القول وأكثرهـــا شعبية.

وإذا كانت الرواية – بتقنياتها الحديثة – فنًا غربيًّا بامتياز ــ فإنها قد تهيَّأت لها أسباب التجذُّر في الواقع العربي بعد أن نضجت ظروفها الموضوعية بسبب انتشار التعليم، واتســـاع قاعدة الطبقة الوسطى والوعي بضرورة تعليم المرأة، وحقِّها في العمل والمشاركة – إلى حـــدٍّ معقول – في الحياة العامة، وازدياد الاحتكاك بآداب الغرب وبالثقافة الغربية.

وتؤكد الدراسات أن الفن القصصي له جذوره العميقة في التراث العربي؛ "فمـــا مـــن شك في أن الأدب العربي عرف فن القصص من قديم العصور من ملاحم وقصـــص شـــعبي ومقامات، وكان له أثر في تطور فن القصص في الغرب"(١)، وهو ما أوجد تربة خصبة لنمـــو الرواية وتطوُّرها في الوطن العربي؛ حيث استطاعت أن تتغذى من مصدرين همـــا: التـــراث القومي بثرائه المتميز والمتنوع، والرافد الغربي بإمكاناته وتقنياته المتطورة، وقرَّبها إلى نفوس القراء قدرتها الفريدة على استيعاب هموم الإنســـان العربـــي الوطنيـــة والقوميـــة والسياســـية والاجتماعية، فضلاً عن جاذبيتها بما توفره لمختلف الفئات الاجتماعية من متعةٍ فنية.

وعلى الرغم من تكوُّن قاعدة قارئة للرواية منذ ثلاثينات القرن الماضـــي ـــــ إلا إن ظهور هذا الفن في ليبيا قد تأخَّر كثيرًا مقارنة ببعض الأقطار العربية، وبخاصة مصر رائـــدة عصر النهضة، وثقل الأمة الثقافي؛ فلم تظهر الرواية في ليبيا إلا في أواخر العقد الأول مـــن النصف الثاني من القرن الماضي؛ حيث يذكر الدكتور الصيد أبو ديب أن "أول رواية أصدرت مدينة طرابلس بشأنها أول شهادة ميلاد هي بعنوان (وتغيرت الحياة) للكاتب الكبير محمد فريـــد سيالة سنة ١٩٥٧م.

---

(١) "بناء الرواية"، دراسة مقارنة لثلاثية محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية للكتاب، سلســـلة دراســـات أدبيـــة، ١٩٨٤م: [ص١٩].

وقد توالى بعد ذلك صدور الروايات لمحمد فريد سيالة نَفْسه، وهو من مواليد طرابلس سنة ١٩٢٧م، ومحمد علي عمر مواليد بنغازي سنة ١٩٣٦م، وسعد عمر غفير سالم مواليد بنغازي سنة ١٩٣٦م، ومحمد صالح القمودي مواليد تونس ١٩٧٣م، ومرضية النعاس مواليد درنة ١٩٤٩م، والصادق رجب النيهوم مواليد بنغازي ١٩٣٧م.

غير أن الرواية الليبية لم تحطم قوقعتها وتكتسب شخصيتها إلا بعد ظهور كتابات إبراهيم الكوني، وأحمد إبراهيم الفقيه، وصالح السنوسي، وعبد الله الغزال؛ فإلى هؤلاء يرجع الفضل في إثبات وجود رواية ليبية استحقت أن تأخذ مكانها على خارطة الرواية العربية بجدارة(١).

وعلى الرغم من القفزة التي حققتها الرواية في ليبيا، وما أحرزته من تطور في تقنياتها الفنية وفي بنائها ولغتها ــ فإنها لم تحظ بالدراسة النقدية التي تتناسب مع حجم ما أحرزته من تقدم، فانحصرت في بعض المقالات العجلى التي استهلكت جهدها – عادةً – في دراسة المضمون السياسي والاجتماعي دون أن تلتفت إلى النواحي الفنية إلا نادرًا، أما الدراسات الأكاديمية التي حاولت أن تأخذ بالمناهج النقدية الحديثة – وبخاصة المنهج البنيوي التوليدي – فلم تُعرف في ليبيا إلا مع بدايات القرن الجاري، ومعظمها لم ينشر، وهي أيضًا قليلة لا تكاد تزيد عن أصابع اليد الواحدة، وسنتعرض لها عند الحديث عن الدراسات السابقة، وبصورة عامة فقد افتقرت الرواية في ليبيا إلى حركة نقدية موازية ترصد مضامينها الفكرية وأشكالها الفنية، ولا نعلم دراسة منشورة حول الرواية في ليبيا عدا دراستين للناقد السوري سمر روحي الفيصل، الأولى بعنوان: دراسات في الرواية الليبية نشرت سنة ١٩٨٣م، والثانية بعنوان: نهوض الرواية الليبية، نشرت سنة ١٩٩٥م.

إنَّ الرواية الليبية قد نضجت، واكتملت أدواتها الفنية، وحققت نجاحًا وشهرة من خلال روايات أحمد الفقيه، وصالح السنوسي، وإبراهيم الكوني، وهي الآن في وضعها الجديد تفتح مجالاً للدراسة النقدية في ميدان خصب يحتاج إلى مَن يكشف الغطاء عن كنوزه المخبوءة.

---

(١) "معجم المؤلفات الليبية المطبوعة في الأدب الحديث"، د. الصيد أبو ديب، مجلس الثقافة العام، ٢٠٠٦م: [ص١٤٩].

المؤلف والرواية:

أحمد إبراهيم الفقيه من مواليد مدينة مزدة ١٩٤٢م إحدى مدن الجنوب الليبى ــ يمثل نموذجًا من الشباب الليبي الذى كان عليه أن يحفر في الصخر؛ ليعيش ويتعلم ويتثقف، تقلبت به الحياة بين الوظيفة والإذاعة والمسرح والصحافة، والسعي من أجل التعلم.

يُعَدُّ أحمد إبراهيم الفقيه واحدًا من أعلام القصة القصيرة في ليبيا؛ فقد نال جائزة اللجنة العليا للفنون والآداب في القصة القصيرة سنة ١٩٦٥م، وله عدة مجموعات قصصية منها:

"البحر لا ماء فيه" ١٩٦٦م، "اربطوا أحزمة المقاعد"، ١٩٦٥م، "قهر الأبواب المغلقة" ١٩٧٦م، "اختفت النجوم" ١٩٧٦م.

أما الرواية فقد تأخَّر الكاتب قليلاً في كتابتها؛ إذ صدرت له أول رواية وهي "حقول الرماد" سنة ١٩٨٥م، وفي هذه الرواية – التي ستتناولها الدراسة – تحتل الصحراء بجمالياتها وأشيائها وأجزائها وجزئياتها المتعددة جزءًا كبيرًا من المكان، وتجسد معاناة قرية تدعى (قرن الغزال)، يسرد فيها الراوي أحلامه، وآماله، ومشاعره التي تتراوح ارتفاعًا وانخفاضًا، بين تشاؤم تفرضه الحال، وتفاؤل ينبعث بمجرد وصول أعضاء البعثة العلمية التي يرأسها رئيس أمريكي، وما تحمله تلك البعثة من أمنيات ووعود وبشرى بمستقبل يُفاجئ أهل (قرن الغزال) بموارد نفط تستخرج من أرضها لتعمر مُدنًا تقع على بعد أميال منها؛ بينما تكرر قرية (قرن الغزال) مأساتها في الصحراء القاحلة.

في هذه الرواية – تحديدًا – التي تعتبر أولى محاولات الفقيه الروائية ــ بدا الفقيه متأثرًا بشكل واضح برواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف؛ فنقل مأساة ومحنة تشبه تلك التي نقلتها "مدن الملح" إن لم تكن المأساة نَفْسها؛ مما يؤكد انصهار الواقع العربي فكرًا وروحًا ورؤًى وأحلامًا.

وبينما تدور أحداث حقول الرماد في الصحراء ــ تتعدد الأماكن في ثلاثيــة الفقيــه (سأهبك مدينة أخرى، نفق تضيئه امرأة واحدة، هذه تخوم مملكتي) التي نشرت عــام ١٩٩١م التي ستتناولها الدراسة أيضًا، والتي تمثل علامة بارزة في تطور الرواية العربية في ليبيــا؛ إذ لا تستمد أهميتها من قيمتها الفنية – بوصفها عملاً روائيًّا ناضــجًا يُــذَكِّرنا بثلاثيــة الروائــي العالمي نجيب محفوظ فحسب– ولكنها تكتسب هذه الأهمية من المرحلة التي تدور فيها أحداثها بالنسبة لليبيا في تلك الحقبة التي– كما يسترجعها بطل الرواية خليل الإمام– تعود إلى ما بعــد الحرب العالمية الثانية؛ فعلى الرغم من الإقرار بأن الرواية عمل تَخيُّلي ــ فإن هــذه الروايــة تحيل إلى أحداث ووقائع من الفترة التي عاش فيها الكاتب نَفْسه الذي وُلد قبل نهايــة الحــرب بثلاث سنوات، وهذا القول لا يعني أن الرواية انعكاس مرآوي للواقع، وهي في الوقت نَفْســه ليست خطرات ذاتية تُعَبِّر عن مشاعر مبدعها، لكنها "عمل درامي يلتحم فيه ما هو ذاتي بما هو موضوعي بحيث تضحى في النهاية مُعادلاً فنيًّا للواقع وعملاً تخيُّليًّــا قــادرًا علــى الانتقــاء والاختيار، وإبراز ما هو جوهري في الحياة بغية تكميل ما نقص منها"(١).

إن هذه الرواية تصور بشكل مباشر حقبة حفلت بالمتناقضات (الهدم والبناء، اليــأس والأمل، الطموح والإحباط...)، إنها بصورة مختصرة – تصور في كونها الخاص أُمَّة تتنفض من تحت أنقاض حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل. هذه الحقبة حددت بما فيهــا مــن إيجابيــات وسلبيات الواقع الذي آلت إليه الأُمَّة، والذي أسفر بعد ذلك عن خيبة الأمل واكتشــاف زيــف الوعي وضياع الحُلم، وما خليل الإمام إلا نموذج لجيل كامل، جيل القناديل المطفأة حسب تعبير الشاعر علي الرقيعي الذي ينتمي إلى جيل الفقيه الذي لم ينجح في تحقيق حُلــم مــن أحلامــه العامة؛ فلم يجد أمامه إلا الانزواء وتجرُّع كؤوس الألم هربًا من نَفْسه ومن أحلامه.

ويشكل المكان في هذه الثلاثية بُعدًا حيويًّا وأصيلاً اكتسبه من حجم الرواية، ومن تعدد البيئات والأمكنة؛ فأحداثها تقع في بلدان متعددة (أدنبرا، طرابلس، مدينة الحلم) لكلٍّ منها طبيعته الجغرافية، وهويته الثقافية، وعمقه التاريخي، مما أثَّر في شخوصها سلوكًا ومزاجًا ووعيًا.

(١) "الروائية الجزائرية ورؤية الواقع"، د. عبد الفتاح عثمان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م: [ص١١].

إن المكان في الثلاثية عنصر رئيس يطالعنا في عتبة النص، في كلِّ جزءٍ من أجزائها متمثلاً في العناوين الثلاثة: (سأهبك مدينة أخرى – هذه تخوم مملكتي – نفق تضـــيئه امـــرأة واحدة)؛ حيث بدت الثلاثية مثلاً يمتلئ كلُّ ضلعٍ فيه بمعطيات المكان، ويؤكد حضوره في بناء الرواية، سواء أكان مكانًا حقيقيًّا أم تخيُّليًّا أو حُلمًا، ولعل أهم ما يميز المكـــان أن الكاتـــب لا يكتفي بمجرد الوصف ورسم أدق التفاصيل، ولكنه يضفي عليه فاعليَّة واضحة تتجلَّى في تعالقه مع حركة الأحداث، وما يطرأ عليه من تغيرات حين يربط بينه وبين ما تتأثر به الشخصـــيات، فيصبح للمكان ملامح ومشاعر، ويخضع لما يخضع له الإنسان؛ فالكاتب "لا يصرف جُهدًا عبثًا حين يصف حجرةً أو بيتًا أو محلاًّ أو ناديًا أو منظرًا طبيعيًّا؛ لأن المنظر المكاني حالـــة مـــن حالات الوعي بحقيقة من حقائق الوجود.

وفي رواية (فئران بلا جحور) الصحراوية تأخذ الصحراء – بمفرداتها مـــن البشـــر والحيوان والنبات – حيزًا كبيرًا من الرواية، ومن حركة الأحداث فيها، إلا أن الصحراء فـــي هذه الرواية تحديدًا لم تَعُد كما كانت في حقول الرماد مجرد مساحة مسطحة من أرض ورجال وشمس وليل وحيوان، بل صارت صورةً مصغرةً لوحدة كونيَّة.

وقد حصر الراوي – في هذه الرواية – هذا الكون في رقعة صغيرة من الأرض هي (وادي جندوبة)، وزمنٍ محدودٍ لا يتعدى أيام، وعددٍ قليلٍ من البشر يتمثَّل في قافلتين، الأولـــى قادمة من (مزدة)، والثانية قادمة من (بئر حكيم)، تلتقي القافلتان على غير موعد فـــوق أرض جندوبة؛ بحثًا عن الرزق، وهربًا من الجوع الذى يفتك بهما.

تتنوع أماكن الإقامة في رواية (فئران بلا جحور)؛ فتتنوع بالتالي الصـــراعات بـــين الجرابيع والبشر، وبين البشر والطبيعة، وبين البشر والتقاليد، وبين البشر والبشـــر، ويمتـــزج الواقع فيها بالخيال؛ فعالم الحيوان بجرابيعه وسحاليه يعيش بيننا، ويخطط ليتخذ موقفًا من البشر الذين قاموا باحتلال مواقعه.

إن الخلفية الدينية للروائي، وذاكرته الصحراوية الغنيَّة بالخرافات والحكايات الشعبية، والقصص التراثية ــ شكَّلت في مُجملها زخمًا مكانيًّا فاضت به الروايات التي ستعنى بالدراسة،